STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

Harb Al-Kalb Al-Thaniah (The Second Dog War) Demonstrations of Identity in Magic Realism

Shokooh alsadat Hosseini sh.hosseini@ihcs.ac.ir
Asistant Professor, Institute for Humanities and Cultural Studies (Coresponding Author)

Zahra Mahmodabadi zmahmodabadi@gmail.com
PhD student in sociology, Azad University (Central Tehran Branch)

Abstract

Identity is the most challenging subject in the modern world due to the flood of technology in the second half of the twentieth century, coupled with other post-modernist phenomena which have impacted our lives. Ibrahim Nasrollah, the renowned Palestinian author, in a novel titled: Harb al-Kalb al-Thaniah (The Second Dog War) has addressed this challenge through literature. In this novel, he has depicted the future of human life through an imaginary world, using magical realism. The basic concept of the novel is "Simulation". This phenomenon enters the world of the story and spreads among the people. Day by day the people become more and more like each other and step by step, the fraudulence, violence and conflict in society increase and begin to take over. Through magic realism and using the descriptive –analytical approach to the novel, this paper seeks to study this process as an individual action leads to great human disaster.

Key words: Individual Identity, Arabic Novel, Magic Realism, Ibrahim Nasrollah, Harb al-Kalb al-Thaniah.

Citation: Hosseini, Shokooh; Mahmodabadi, Zahra. Autumn & Winter (2020-2021). Harb al-Kalb Al-Thaniah (The Second Dog War) Demonstrations of Identity in Magic, Studies in Arabic Narratology, 2(3), 127-150. (In Arabic)

Studies in Arabic Narratology, Autumn & Winter (2020-2021), Vol. 2, No.3, pp. 127-150

Received: October 12, 2020. **Accepted**: March 4, 2021

©Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩

حرب الكلب الثانية؛ تمظهرات الهوية في الواقعية السحرية

شكوه السادات حسيني البريد الإلكتروني: sh.hosseini@ihcs.ac.ir
أستاذة مساعدة بمعهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية ـ طهران (الكاتبة المسؤولة)
زهرا محمود آبادي البريد الإلكتروني: zmahmodabadi@gmail.com
طالبة الدكتوراه في علم الاجتماع بجامعة آزاد الإسلامية ـ فرع طهران المركزي.

الإحالة: حسيني، شكوه‌السادات؛ محمودآبادي، زهراء؛ خريف وشتاء (٢٠٢٠-٢٠٢١). حرب الكلب الثانية؛ تمظهرات الهوية في الواقعية السحرية. دراسات في السردانية العربية، ٢(٣)، ١٢٧-١٥٠.

دراسات في السردانية العربية، خريف وشتاء (٢٠٢٠-٢٠٢١)، السنة٢، العدد٣، صص. ١٢٧-١٥٠.

تاريخ الوصول٢٠٢٠/١٠/١٢ تاريخ القبول: ٢٠٢١/٣/٤

© كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي والجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها.

الملخص

إنّ تدفّق التكنولوجيا إلى حياة الإنسان في العصور المتطوّرة والوتيرة المتسارعة لظواهر ما بعد الحداثة في الآونة الأخيرة جعل التساؤل عن الهوية والانتماء الفردي واحدا من أصعب التحدّيات التي تواجهها القضايا الاجتماعية في النصف الثاني من القرن العشرين. وإبراهيم نصر الله الكاتب الفلسطيني الشهير، تمكّن من الولوج إلى

هذا الموضوع من خلال الأدب وبنظرة جديدة. فقد وظّف عنصر الخيال في حقل الواقعية السحرية، فصوّر مستقبل البشر في ظلّ الرغبة المتنامية للمحاكاة وصناعة النظائر؛ الظاهرة التي تجلّت في مظاهر مختلفة ووسيعة وسبّبت في إزاحة الانتماءات الفردية. وما هذه الرواية إلّا تحذير من ظهور هذا المفهوم المستعار الذي إن كتب له الاستمرار في الجوانب الحقيقية للحياة الإنسانية فمن شأنه أن يشعل فتيل حروبٍ ونزاعات من نوع جديد، ويفرض العنف المدمّر على المجتمعات البشرية. وقد تطرقت هذه الورقة إلى أجواء الواقعية السحرية فيما تسرده رواية حرب الكلب الثانية عن الهوية الفردية، مستخدما المنهج الوصفي-التحليلي، ليدرس أزمة الانتماء الفردي في حركة المرء من سلوك فردي محض إلى كارثة إنسانية مدمّرة.

الكلمات الدليلية: الهوية، الانتماء الفردي، السردانية العربية، الواقعية السحرية، إبراهيم نصر اللّه، حرب الكلب الثانية.

المقدمة

الكاتب الأردني إبراهيم نصر الله (...-١٩٤٥) المنحدر من أصول فلسطينية، وهو الحائز على جائزة البوكر العربي (٢٠١٦)، يتحدّى الانتماء الفردي للبشر في القرن الواحد والعشرين في روايته حرب الكلب الثانية، وذلك من خلال خلق نوع من التناقض ما بين التشابه والاختلاف في فضاء عجائبي مستعينا بالواقعية السحرية. إذ إنّه تلطخ بفردانية الإنسان منذ دخوله هذا القرن الذي سيطرت عليه هيمنة التكنولوجيا، وفي الوقت نفسه بالمحاكاة وصناعة النظائر.

ولو كانت ثمّة ضرورة لفهم واقعيّ للمجتمع، وكانت هذه الضرورة هي الاتجاه الأساسي لعلم الاجتماع الأدبي فإنّ ظهور بعض الأساليب الحديثة في الأعمال السردية جعلت هذا الاتجاه يواجه تحدّيات جدّية. من هذه الأساليب الحديثة، الواقعية السحرية التي تتخطّى حدود الواقع، لتستجلي حقيقة التصوّر الكوني، والسياسي والجغرافي والبيئيّ بشكل تفكيكي. يقول برندا كوبر (...-١٩٦٠) مؤلف كتاب الواقعية السحرية «إنّ غاية الواقعية السحرية هي مواجهة الأصولية والإدماجية والعنصرية والتقويم الظاهري، وتهدف إلى البحث عن الجذور والأصالة والمنشأ» (آن باورز، ١٣٩٢: ١٨).

الواقعية السحرية مصطلح يعبر عن نمط أو أسلوب يتماشى مع معان مختلفة تتعلق بفكرة الاكتشاف والانتهاك بتجاوز حدود العالم الواقعي، سواء أكانت هذه الحدود سياسية أو جغرافية، أم ما نسميه بالوجودية. فالكاتب، وبخاصة في الأعمال التي يمكن انتسابها إلى ما بعد الاستعمار، يتوسل للهجوم على النظم الشمولية والاستعمارية، وبالتالي معارضة أي شكل من أشكال الأصولية في المجتمع.

وقد تحدّى إبراهيم نصرالله في عالمه الخيالي تحطيم أسس الواقعية باستخدام الأسلوب العجائبي لتقديم تحذير جدي للمجتمع البشري الذي تدنت قدرته على الانعطاف أمام سرعة نفوذ التكنولوجيا ولم يعد يمتلك القدرة على مواكبتها ضمن المحافظة على قيمه الأساسية.

تتمثل أهمية رواية حرب الكلب الثانية في أسلوب يفيد من العجائبية والغرائبية، فهي تركز على تشوهات المجتمع الخيالي فيها وبروز النزعة التوحشية التي تؤدي إلى غياب الخلقية وتسبب فيما يمكن تسميته المتاجرة بأجساد الناس ومن ثم بأرواحهم. فالمقالة هذه في إطار

الواقعية السحرية ومستعينة بالأسلوب الوصفي- التحليلي، تحاول دراسة أزمة الهوية الفردية التي تفضي إلى كارثة إنسانية مدمّرة.

خلفية البحث:

الرواية قد درست من منظورات مختلفة في بعض الرسالات والمقالات الجامعية، منها:

- مونا نعيمي كياييانى (١٣٩٨) التي تناولت في اطروحتها للماجستير بإشراف فاطمه أكبري زاده، - جامعة الزهراء) بعنوان: «دراسة زاوية الرؤية في رواية حرب الكلب الثانية، وفق منهج سيمبسون» وأشارت إلى ما وجدته في هذه الرواية كونها من الروايات الخيالية التي رسم فيها الروائي إبراهيم نصرالله بلغة الاستعارة الرمزية ملامح مدينة خربة وفاسدة وعالم تدمره حرب كونية شاملة، وبناء على مكتشفات البحث، فإن سرعة السردية في هذه الرواية عموما إيجابية و سردية الانتقال الزماني كبيرة أيضا من الحاضر إلى الماضي ومن الحاضر إلى المستقبل وطبيعي أن سرعة السردية متغيرة بين الإيجابي والثابت والسلبي، وانعدام الملائمة الزمنية في هذه الرواية تتجلى في رؤية الماضي واستشراف المستقبل، وفيما تجلت رؤية الماضي عنده في ثلاثة أنماط داخلية وخارجية ومركبة اتضحت لديه بالنمط الداخلي في استشراف المستقبل . كذلك أشار المؤلف إلى حالة التذبذب الفردي في روايته أكثر من أي شيء آخر. كما أن زاوية رؤية المكان في هذه الرواية رسمت من خلال أربعة أشكال متحركة وثابتة ومتوالية وشبه محلقة.
- فرهاد بشاآبادى (١٣٩٨) تناول أيضا في رسالته للماجستير (بإشراف محسن بيشوايي علوي، في جامعة كردستان) بعنوان: (دراسة الشخصية وإبداع الشخصيات في رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصرالله) وأهم نتائج هذا البحث تكمن في تبويب شخصيات الرواية بمختلف أنواعها الأصلية والفرعية (البسيطة والشاملة) الساكنة منها والفاعلة والتي تناولتها الرواية، والشخصية الأصلية الوحيدة في هذه الرواية هي شخصية (راشد) إنها شخصية شاملة وفاعلة بينما تكون كل الشخصيات الأخرى بسيطة ومعظمها ساكنة وقد استفاد المؤلف في تناوله للشخصيات أساليب التناول المباشرة وغير المباشرة لكنه استفاد من الأسلوب غير المباشر، وبخاصة إنه استفاد منه في الحوار أكثر من سائر الفنون الأخرى . لقد استفاد في توضيح خصائص

الشخصية الأصلية في كلا الأسلوبين لكنه ركز على الأسلوب غير المباشر في تقديم الشخصيات الثانوية.

• مريم رستميان (١٣٩٨) أعدت رسالة ماجستيرها (بإشراف برويز احمدزاده، جامعة الشهيد مدني في آذربايجان) بعنوان: «ترجمة رواية حرب الكلب الثانية تأليف إبراهيم نصرالله»، فقد قامت بترجمة هذه الرواية. وحسب رؤيتها فان أحداث هذه الرواية «حرب الكلب الثانية» سوف تقع في إطار خيال مفتوح وواقع مجنون في المستقبل وفي بلد من دون اسم.

• شكوه السادات حسيني وفاطمة قاسم محمد (١٣٩٩) تناولتا الرواية في مقالة بعنوان: (نقد تفكيكي لرواية حرب الكلب الثانية) (فصلية لسان مبين، السنة ١٢، العدد ٤١) من خلال البحث في التقابلات الثنائية الموجودة في النص. ومن أهم النتائج في البحث هو أنّ التباين الأكثر أهمية في هذه الرواية هو التباين/التماثل؛ إذ تسير الأحداث الراهنة في الرواية بسرعة في عملية متناقضة، وفي مستقبل غير البعيد ستؤدي إلى تعطيل النظام الحاكم بأكمله وتراجع الإنسانية.

وهنالك بحوث موازية جاءت في رسالتي ماجستير أخريين تم إعدادهما أيضا حول هذه الرواية (ولم يعثر الباحثان إلا على عنوانهما) فإحداهما في بلجيكا وأخرى في الهند:

• دزيري كاسترس كتب تحت عنوان «الواقعية السحرية العربية، أداة للنقد» تناول فيها سبل استخدام هذا النوع من الفن في الأدب العربي كوسيلة للنقد الاجتماعي والسياسي وظهور العنف في العالم العربي خاصة وفي العالم عموما خلال الأعوام الاخيرة.

• سهيل محمد كتب أيضا في رسالته للماجستير بعنوان «بحث تحليلي حول دور إبراهيم نصرالله في الادب العربي، دراسة خاصة لرواية حرب الكلب الثانية ولكنه لا يرتبط بموضوع بحثنا هذا و منهج دراستنا لهذا النص.

مفهوم الهوية

ذكرت في قاموس الرائد بأنّ هوية الإنسان حقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية بينما ذكر في اللغة العربية المعاصرة بأنها إحساس الفرد بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكياته وأفكاره في مختلف المواقف. وجاء في قاموس لاروس في التعريف بهذه الكلمة: «أنها الشيء الذي يوضح ذات الشيء والذي يكون نفسه». ومفهوم الهوية يساوي بالانجليزية

"Identity" بمعنى انه هو نفسه ، وفي العموم يشتمل المفهوم على الأشياء التي تمثل حقيقته وهو التماثل أو الشيء نفسه . وجاء في التعريف بهذه الكلمة أيضا أنها تعني علاقة شخص بشريحة اجتماعية على أساس الموقع الجغرافي واللغوي والثقافي الذي يتميز بخصائص متميزة .

وأما في موضوع علم الاجتماع فقد عرفت الهوية بأنها: الوعي الاجتماعي الذي يكونه الفرد أو الفاعل الاجتماعي لنفسه وللمواضيع والأشياء المحيطة به، في إطار علائقي خلال صيرورة تنشئته الاجتماعية.

والسؤال القائل (من أنا؟) هو السؤال البديهي والأول وهو في ذات الحال السؤال الأساسي والأبدي الذي يطرح الحاجة الروحية للإنسان ، ذلك أنه إذا لم تُبحث هذه الحاجة ولم يتعرف الإنسان على حاجته، فإنه لن يكون عندها سوى كائن طائش لن يتمكن من الخلاص أبدا من حالة التشتت والضياع والتيه. إذن من خلال معرفة نفسه يكون الإنسان مفكرا فيقول : والحال بما أني هكذا، ينبغي أن يكون لي هدف في حياتي وتكون عندي رسالة .(جوادى يكانه، ١٣٨٧: ٥ .)

الهوية في السرد

لم تكن الهوية والانتماء الفردي إشكالية للمجتمعات البشرية حتى العصر الحديث ويمكن القول بأن الميزة الأساسية للخطاب الروائي المعاصر، هي إلحاح الروائيين على العودة إلى الذات والتمسّك بها، حيث أصبح الوعي بالإنسانية والإنسان وتصوير ضعفه وانهزاماته، هو موضوع إنسان الألفية الثالثة، لكلّ ما يحمله من توترات تهدّد وجوده، وصراعات تتحكّم في مساراته، وعولمة تطارده. فلم يكتف الخطاب الروائي بعرض الهُويات فحسب، أو بيان مدى التوافق فيما بينها، وإنّما طرحت الرواية الجديدة إشكالية الُهوية المتغايرة بين الائتلاف والاختلاف، وتصدّع مفهوم الهوية المتشظّية عند الإنسان المعاصر.

فإذا ألقينا النظر إلى التعاريف الكلاسيكية لمفهوم الإنسان بوصفه كائنا طبيعيا فنجد أنها تعتبره أمرا ثابتا وراسخا وواضحا. فـ «كان الإنسان صورة تُرى من خلال عيني الله أو الآلهة وكانت هويته نتاج عمل نظام قوي ومحدّد سلفًا من المعتقدات والأساطير الدينية والطقوسية. كان الإنسان في نظام رمزي معروف ينير الاحتمالات والتوجهات. فولد الشخص كعضو في قبيلة

كبيرة، ونظام خاص من القرابة والانتماء، ومجموعة من الحياة، أي في مواقف اجتماعية وثقافية محددة جيدًا، ونادرًا ما يمكن أن يفلت من مصيره الحتمي» (احمدي، ١٣٧٧: ٣٩).

و«لقد تمثل معظم الفلاسفة والمفكرين الهوية قبل هيغل كوحدة وتطابق وكنقيض للاختلاف، لكن مع مجيء هيغل أصبح الحديث عن الهوية مقترن بالحديث عن الاختلاف والتغير، فإذا كانت الهوية ترد إلى الوحدة فإن هذه الوحدة اختلاف وتغير» (قشوح، ٢٠١٥).

هذا النوع من النظرة للهوية الإنسانية في عصور ما قبل الحداثة مهم في الفكر الفلسفي و في الوقت ذاته عند علماء الاجتماع. يعرض أنطوني غيدنز في كتابه (The consequences of modernity) أن في المجتمعات التقليدية، يمكن تحديد الهوية البشرية من خلال تعريف بسيط، وكان الماضي يعتبر مهمًا لهذا السبب، وتم تشجيع دراسته لإلقاء الضوء على الهويات الموجودة للأفراد (نقلا عن المصدر السابق: ٤٠).

أما مسألة الوجود الإنساني كمسألة جوهرية ، وليست ملموسة ، ومستقلة عن الإمكانيات التي وفرتها الصناعة والتكنولوجيا في القرون الأخيرة ، فهي مسألة حديثة وتعتمد على الميتافيزيقا الحديثة. و يمكن إرجاع الخلفية الأرثوذكسية لفلسفة الهوية الأوروبية في العصر الحديث إلى أفكار ديكارت. إذ أنه "وجد نقطة انطلاقه الحتمي في الوعي، أي في اليقين العقلي للإنسان لوجوده في تمييزه عن المادة وجميع العقول الأخرى» (كهون، ١٣٩٢: ٢٩). فحوّل ديكارت انتباهنا من "مواضيع" الفكر إلى "الفاعل" الذي يفكر. و«بدأت الفلسفة الحديثة بمحاولة ديكارت بإيجاد هوية "أنا" ، بمعنى أنه "يناقش الجنس البشري" بدلا عن تقديم الموضوع/ الفاعل الديناميكي للإدراك» (احمدى: ٤٤).

«فالذات أو الفرد في الآراء الفلسفية للعصر الحديث، وبخاصة مع ديكارت في القرن السابع عشر، ونظريته قضية كوجيتو بكل مضامينها الأنطولوجية والمعرفية، وفي سياق حركة التنوير المزدهرة في القرن الثامن عشر، أصبح مصدر الحكم الذاتي لاكتشاف الذات والوعي الذاتي واستقلالية المعنى في مختلف المجالات مثل المعرفة والسياسة والأخلاق والجماليات، ووجدت مكانة عالية وأصبحت مركز الكون» (عليا، ١٣٩٥: ٧٤).

لكن ديفيد هيوم يتحدى وجهة نظر ديكارت عن الهوية الشخصية ، واصفا إياها بأمر خيالي، إذ يقول: «إنّ الهوية هي مفهوم يعتمد عليه خيالنا بطريقة مبسطة من التطور الناتج عن التشابه، ومنطلقا من العلاقات السببية، وهكذا تخلق قوة ذاكرتنا مفهوما للهوية لا علاقة له بالعالم الواقعي» (احمدى: ٣٨-٣٧).

في الواقع ، يعتبر هيوم أن فكرة الهوية تنشأ من الصور الذهنية إذ «لا توجد أكثر من مجموعة من التصورات الحسية تتغير بتغير الأشخاص الذين يواجهون تجارب جديدة على مدى التاريخ البشري» (مرادى: ١٠٣).

أما في أعتاب القرن العشرين ، فانتهي زمن سيطرة الذاتية(Subject) و «في هذا القرن، أعادت تيارات فكرية مختلفة من وجهات نظر مختلفة، النظر في المفهوم التقليدي للذاتية وعلاقتها بالعالم من حولها، وأطاح بها من المنصب الرفيع الذي وجدته وأزال تركيزها» (عليا: ٧٥).

فالحداثة شكل لا مركزي يتغير بشكل غير منتظم وغير قابل للحصر ، شكل لا أساس له ، غير مفصل ، لا يتشكل على أساس سبب أو قانون. وقد أثر هذه الفوضي على تعريف الهوية أيضا.

وهكذا «لن تستمر هوية المجتمع وهوية الفرد كما هي، التي كانت منسقة جيدة البناء تؤدي إلى التحول التطوري. لم يعد لدى المجتمع والفرد نقطة مركزية فكلاهما جاهزان للتغيير في أي لحظة» (أحمدي: ٤١).

انواع الهويات

للهوية مفاهيم متعددة الأبعاد ويمكن من خلال تقسيمات عامة حول الهوية، الحديث عنها عبر عدة سبل (غيدنز،١٣٨٦: ٤٥). يتحدث علماء الاجتماع في الغالب عن نوعين من الهوية : الهوية الاجتماعية والهوية الفردية أو الشخصية. والهوية الفردية، هي الهوية التي تشير الى خصائص فرد معين، ويمكن للفرد أن يحدد بموجبها خصوصياته . وبعبارة أخرى «فالهوية الفردية تعني الشيء الذي يحدد بها الفرد خصوصياته الخاصة بذاته والتي تجعله متميزا عن الآخرين» (توسلي و قاسمي ١٣٨٣: ٢).

وأما الهوية الاجتماعية فهي التي توضح تعلق الفرد بجماعة من الناس. «الهوية الاجتماعية هي الهوية التي يكتسبها الفرد في الحالة الاجتماعية ومن خلال ارتباطه بالجماعات أو الوحدات الاجتماعية الموجودة في المجتمع وأبرزها المجموعات أو الوحدات الاجتماعية أو النطاقات التي يشير إليها الإنسان عبر ضمير "نحن" و يرى نفسه مدين لها لجهة العواطف والالتزام والوجوب والانتساب» (عبداللهي،١٣٧٥: ١٤٢). ومن الواضح فإن الهوية الاجتماعية بالطبع لن تدخل في مواجهة مع الهوية الفردية أبدا، بل هي في حقيقة الأمر تمثل تعزيزا لكل ما يمتاز به الفرد بما هو فرد . وهذه الملاحظة وإن كانت تعتبر بديهية في الظاهر لكنها في الحقيقة أشبه بـ (كعب - أخيل) الذي يبين وجود نقطة ضعف مميتة لدى ذلك الشخص رغم كل القوة التي يمتلكها وإن أصيبت تلك النقطة فإنها تؤدي إلى سقوطه بالكامل وبالتالي حدوث الشيء الذي تحرص الرواية على تناولها .

والهوية تتكون من خلال التعامل مع الأخرين وعلى مستوى المجتمع ومن خلال المراحل الاجتماعية المختلفة، وفي الواقع فإن الهوية هي منتوج الاتصال والتعامل والتفاعل مع الآخر أي أن وجود "الآخر" ضروري لوجود الـ"أنا" وإدراك "الذات" يحصل عبر فهم الآخر والاتصال به ومن خلال العملية الاجتماعية» (ريتزر،١٣٧٤: ٢٧٩).

يعتقد (غيدنز) الذي يؤكد أصالة الفرد بأنه بعد كل مرحلة من أزمات الهوية، يحصل الفرد على هوية جديدة وتكون فيها الهوية الجديدة مخالفة للهوية السابقة . والإنسان في ارتباطه بالمجتمع وحياته في ذلك المجتمع هو بالطبع كائن فاعل ومختار يصنع هويته بإرادته الذاتية، والهوية هي نتاج إرادته وتأملاته الذاتية قبل أن تكون من نتاج التشكيلات الثقافية والاجتماعية. لكن هذا الأمر لا يعني تجاهل دور التشكيلات الاجتماعية في تشكيل هويته الخاصة. وفي هذا النوع من الهوية "الاجتماعية" يقوم الشخص بإعادة بناء معاني حياته الخاصة من خلال رواية قصة حياته، فيقيم علاقة جدلية مع ذاته، وينتقد نفسه فيحصل من خلال هذه العملية على الوعي الذاتي وينقذ نفسه من أزمة الهوية التي كان يعاني منها (غيدنز،١٣٧٨: ٨١-٨٤). وحسب رؤية غيدنز فانه يمكن القول بامكانية صنع هوية محددة، تتشكل منها هويات

مختلفة تحت تأثير الظروف الاجتماعية المختلفة، وفي عالمنا الحالي نجد الناس يلجأون إلى اختيار هويات مختلفة وهم مكرهون على ذلك .

يعتقد بُول ريكور، الفيلسوف الفرنسي وهو أحد أهم منظري التأويلات الأدبية «أنا نفسي التي تروي الحكاية عني». إنه يعتقد أن الرواية تجعلنا نقبل بأن الهوية ليست متوقفة وساكنة بل متغيرة وفاعلة تبعا لنوع الرواية . وبعبارة أخرى، فإن الهوية ليست بالشيء الذي يُطلب منا اكتشافها او أننا نسعى لابتداعها، بل إنها ثمرة اختيار وذاكرة وتعاطي ومشروع . وخاصية الرواية هي أنها تدفع كل هذه العناصر للتفاعل والحركة وتضعها بإزاء بعضها البعض. وخاصة لو علمنا أن الرواية لا تتلخص في نقل قصة الأحداث، بل إنها تفسر الوقائع وتعيد بناءها من جديد. وترسم اللحظات وتضعها إلى جانب بعضها برغبتها لتصنع منها تاريخا وقصة منسجمة ذات معنى ومغزى. والهوية هي نتاج التاريخ وثمرة بنائه ايضا.

ومن خلال رواية، نجد الأنا المتمثلة بالنفس مثلما نجد الآخر والأنا هي كالآخر (ريكور، ١٣٨١).

وما يجري دراسته في هذه المقالة، يمثل مصداقا عينيا لتحدي شخصيات قصة خيالية في موضوع الهوية. فالكاتب يرسم في روايته صورة كارثة من خلال تخيل عالم لا يكون للوجوه فيها أثر في التمييز بين الناس، وهذه الكارثة التي يرسمها الروائي لنا مستعينا بلغة عجائبية، يمكنها أن تصور أو بعبارة أفضل، يمكنها أن تمثل تعبيرا استعاريا لعالمنا الحالي . العالم الذي يزعم أنه حقق تقدما تكنولوجيا هائلا، لكن منجزاته لاتخدم مصلحة الإنسان في الكثير من المواضيع.

وهذه المقالة التي تقدم قراءة وتحليلا لما كتبه مؤلف رواية حرب الكلب الثانية، بنيت على أساس دراسة هويات أشخاص تُستنسخ في البداية من بعضها نتيجة إرادة شخصية بشكل تدريجي وبصورة مَرَضية وخارجة عن السيطرة، فتعمل على إثارة اضطرابات كبيرة في العالم تؤدي إلى الحرب، وقد تقرر أن تعمل الشخصية الرئيسية في الرواية من أجل عدم اندلاع تلك الحرب.

الواقعية السحرية

كما أشير آنفا، تتناول هذه الورقة موضوع الهوية المفككة أو العبثية الموجودة في شخصية الرواية الرئيسية من منظور الواقعية السحرية، وهي لا تتمثل «مجرد تيار ظهر فجأة، أو نشأ بالمصادفة، أو انبثق لمجرد أن كاتبا ما عنّ له أن يدخل في رواية ما أو مجموعة روايات وأعمال قصصية بعض هذه العوالم الغريبة التي نطق عليها صفة العجائبية، ولكن الواقعية السحرية، على العكس من ذلك، ظهرت نتيجة لمجموعة من العوامل الفاعلة والمؤثرة، من بينها عامل التطور الإبداعي» (أبو أحمد، ٢٠٠٢: ٥).

جاء مصطلح ومفهوم «الواقعية السحرية» ليصف أسلوبا سرديا مختلفا عما كان سائدا من قبل، لا يستند إلى دقة وصف الواقع واستخلاص تفاصيله، قدر الاستناد إلى الخيال لإعادة التفكير في هذا الواقع. وبما أن مفهوم الواقع نفسه فقد يقينه المزعوم عند الكثيرين، فكان لابد من إيجاد أسلوب روائي يواجه هذا اليقين، الذي هو في الوقت نفسه يعد يقينا استعماريا جاءت به أوروبا لتفرضه على آخرين، ظنا منها أنهم أقل من أن يوصفوا بالإنسانية. من هنا جاءت الكتابات لتواجه العقل الواحد ووجهة النظر المتعالية، كتابات واجهت التحرر الوهمي، الذي تم استبداله بديكتاتوريات أكثر بشاعة وقسوة.

(عبدالرحيم:https://www.alquds.co.uk).

ويجدر بالإشارة إلى أن الواقعية السحرية ليست بتيار جديد في تاريخ الأدب العالمي، إذ نجد نماذج كثيرة في القصص والحكايات القديمة التي تتقمص شخصياتها غير الواقعية من الحيوانات أو المخلوقات الخيالية دور الإنسان الحقيقي. «فالواقعية السحرية إذن نموذج أدبي فريد جمع بين القديم والحديث: القديم ممثلا في العجائبي (قصص ألف ليلة وليلة وحكايات الجدات مثلا) والحديث ممثلا في استخدام الأسطورة بالمفهوم الفني والأدبي والثقافي الذي تبلور في كتب وأعمال كثيرة خلال النصف الأول من القرن العشرين» (أبو أحمد: ٧).

ولا يسعنا في هذه العجالة التطرق إلى مواضيع التشابه والاختلاف بين الواقعية السحرية وبين تيارات قريبة منها من السريالية والفانطستيكة والعجائبية وما إلى ذلك من الأساليب التي يستخدمها الروائيون ليرسموا عالما خياليا تتمثل انطباعاتهم من الواقع البشري. وإنما نحاول أن

نقترب نوعا ما من الفضاء الخيالي لرواية حرب الكلب الثانية وما يعرض لنا الكاتب بين طيات نصه من مفهوم الهوية المفككه والمنهارة.

قراءة في رواية حرب الكلب الثانية

تبدأ أحداث الرواية في أجواء خيالية من تمثيل الهيمنة في اللامكان المسمى بالقلعة ويكون المعارض الأخير للقلعة المسمى بـ(راشد) والذي يجري تعذيبه في دهاليزها. وبالرغم من أن راشد يبدي مقاومة صلبة على مدى عامين، لكنه وبعد الإفراج عنه يتخذ قرارا مع نفسه بالتخلي عن عقيدته دون أي شعور بالذنب، ويتآلف أيضا مع أصحاب السلطة الذين قاموا بتعذيبه. أحد رؤساء القلعة (الضابط) يمهد الأمور لكي يقترن راشد بشقيقته (سلام) ويتزوجها، وهو يجهل أن راشد نفسه يسعى للهدف نفسه. ويوافق رؤساء القلعة بزواج راشد وسلام لكي يستفيدوا من ذكاء راشد ونباهته للقضاء على آثار حرب الكلب الأولى. ففي تلك الحرب، كان هنالك كلب جرت مساومة بين شخصين على اقتنائه، وكان ذلك الكلب قد انتفض على صاحبه الأول وتسبب باندلاع حرب بين قبيلتي البائع والمشتري، تلك الحرب أزهقت فيها أرواح المئات من الأشخاص.

وأما زواج راشد وسلام، فإنه كان السبب في منح ثقة القلعة براشد ولكن ذلك حدث بعد أن أنجب الزوجان مولودهما الرابع وكان راشد في تلك الفترة قد وصل إلى قيادة أحد أقسام تلك المؤسسة. لقد تولى راشد رئاسة أحد مستشفيات المدينة وقام بتنفيذ مشروعين اسم أحدهما "أسرى الأمل ١" ويدور محوره على إيصال المرضى في أسرع فترة زمنية ممكنة إلى المستشفيات واستقبال المرضى من سائر الدول والمشروع الآخر أطلق عليه اسم "أسرى الامل ٢" ومهمته إلقاء القبض على الناس باتهامات واهية وأخذ الاتاوات من ذويهم للإفراج عنهم، ويُعرِف راشد الهدف من المشروعين بأن الغرض منهما إقامة نظام اجتماعي لكن الغرض الخفي منهما، هوالربح المادي الذي يسجل في حسابات راشد والمدير العام السابق للقلعة.

وهنا يشار إلى أن راشد يبدي حُبا غامرا للزواج من امرأة أخرى تشبه سلام. إنه يتعرف عبر العلاقات التي أقامها على طبيب يمكنه إجراء عملية تجميل لسكرتيرته ليجعل وجهها يشبه وجه زوجته سلام ومن ثم تؤدي عملية التجميل هذه، إلى أحداث تغيير في الهورمونات الجنسية فتصبح تلك المرأة التي أجريت لها عملية التجميل في غاية الجذابية من الناحية الجنسية.

في عالم الرواية، تكون التكنولوجيا قد حققت تقدما فائقا، فالصور رباعية الأبعاد، والاتصال بسائر الكواكب أمر عادي، والأهم من كل ذلك تطور التقنية الخاصة بعمليات التجميل وحمى التشبه، هي من الحقائق المهيمنة على عالم هذه الرواية. ففي هذه المعالجة، التي تجري على إثر تغير الأنماط الجينية الموازية، يتشبه الناس ببعضهم، وحمى التشبه هذه سوف تشاهد أيضا حتى بين الحيوانات والثمار وهذا الأمر يتجه بالعالم صوب عمليات التجميل والتشبه المدهشة بواسطة فيروس خاص.

ما ينفذه راشد من إجراءات، يلبي في واقع الأمر، خلاف ما يتوقعه رؤوس القلعة ولذلك فإنه يدفع في واقع الأمر إلى حرب شاملة أخرى. إن عمليات التجميل كانت في البداية أمرا مدهشا لكل الأشخاص الموجودين في القلعة. فهؤلاء كان بإمكانهم أن يستفيدوا من هذا الأمر في التشبه بغيرهم ويضعوا أنفسهم مكان الأشخاص الآخرين ويدخلوا في الحُرمات الشخصية للآخرين، من دون أن يشعروا أن هذا الأمر سيحصل مع عوائلهم أيضا. إن تشخيص الوجوه الأصلية من المزيفة سيصبح متعذرا بل إن هذا المكر السيء سيحيق بالمخططين الأصليين الذين تسببوا بحمى التشبه تلك. فهنالك الراصد الجوي الشخص المجهول الذي يسكن إحدى شقق البناية التي تعيش فيها أسرة راشد في طابق غير موجود!، يأتي بوجه شبيه لوجه راشد إلى بيت سلام ويقيم علاقة معها في الأوقات التي لا يوجد راشد في البيت. والأشخاص العاديين في القلعة يستفيدون من هذا الواقع في مقاصد أخرى. هؤلاء يخطفون فنانين معروفين ويصنعون لأنفسهم وجوها شبيهة بوجوه هؤلاء الفنانين، وبشكل لا يمكن فيه التمييز بين الشخص الأصلي وبين الشخص المزيف. ويصل الأمر إلى الدرجة التي يتشبه فيها راشد بالضابط وبالمدير العام للقلعة. فيُلقى القبض عليه مجددا ويمارس التعذيب بحقه وفي نهاية الأمر يُقتل شأنه شأن الآلاف من أسرى الأمل .

لكن الرواية لا تنتهي هنا وإنما يبدو أن هنالك حربا ثالثة في الطريق. وهنا يصل الراصد الجوي ومعه قفص يحوي قردين أحدهما ذكر والآخر أنثى. ويخرج راشد بلحية كثة وطويلة وعلى رأسه عمامة كبيرة وسميكة ورداء أسود، يخرج بمظهر يشبه الدواعش من خيمة سوداء تحيطها التلال من ثلاثة أطراف، ويوجه السباب بصوت رفيع للراصد الجوي ويصرخ بوجهه قائلا

لماذا رجعت. وكأن عجلة الحياة عادت إلى نقطة البداية وعلى الناس أن يبدأوا كل شيء من جديد.

دراسة مفهوم الهوية الفردية في الرواية

إنّ الإنسان هو المسؤول الأول عن تكوين هويتهُ وكينونتهُ. وليس من حق كائنٍ ما أن يُحدد لهُ سلفًا الطريق الذي سوف يسلُكه. فهو يعيش حياة طبيعية بقدر ما يتمتع بحُرية في اتخاذ كُل قراراته المصيرية وغير المصيرية.

أما إبراهيم نصر الله وباستخدام الاستعارة المفاهيمية لـ "الولاء" في الإنسان غير البشري، وباستخدام تقنية الواقعية السحرية، فيرسم مفهومًا مجردًا في علاقات الحياة البشرية ليثبت أن ترك النظام البنيوي في النظم التكنولوجية الحالية هو قدر محتوم ودمار للبشرية.

هنالك عوامل من قبيل التحول الصناعي والتطور التكنولوجي وتنامي الاتصالات والهجرات وإفرازاتها الثقافية التي تثير علامات الاستفهام والتشكيك ليس في الحياة المادية والاقتصادية للناس فقط بل إنها تشمل المعتقدات والأفكار والقواعد الأخلاقية والتقاليد الثقافية والدينية والمذهبية أيضا. وفي مثل هكذا ظروف يكون الأفراد بأمس الحاجة إلى الهوية، ذلك أن أزمة الهوية والروح المعنوية، تسبب إرباكا في الحياة الاجتماعية بصورة جدية. والحال إنه من خلال الهوية يمكن احتواء التعقيدات وإبطاء سرعة التغييرات الاجتماعية ومنح الإنسان القدرات التي تمكنه من إسباغ النظام النسبي على حياته وعلى العالم المحيط به. إن اكتساب الناس هوياتهم الحقيقية يؤدي في الواقع إلى تثبت مواقعهم وبلوغ أهدافهم. فالهوية تمثل الشرط اللازم للحياة الاجتماعية ومن دون وجود إطار لتعيين هويته الاجتماعية لا يتمكن الإنسان من إقامة علاقات مستقرة وذات مغزى مع الأخرين. وفي الواقع، «فإنه لن يكون هنالك مجتمع من دون وجود هوية اجتماعية» (جنكينز،١٩٩٦: ٦). وبعبارة أخرى، فإن أفراد أي مجتمع يعيشون في إطار السياق الاجتماعي المشترك، ويتميزون فيما بينهم بالخصائص الفردية وإنهم لو خرجوا من مجتمعهم، فإن هويتهم الاجتماعية سوف تضاف إلى هويتهم الفردية وتجعلهم متميزين عن الآخرين في المجتمع الجديد.

في هذه الرواية، نواجه مرات عديدة التغيير في هويات شخصيات الرواية، وبالتالي فإننا نشهد التبعات الخاصة لكل تغيير يحدث في الهويات. وتغيير الهويات يحدث على مستويين في الرواية، تغيير للهويات من خلال تغيير الوجوه، والتغيير في الوجوه أيضا يحصل في حالتين، الأولى عن طريق عملية جراحية والثانية عن طريق تطوير الفيروسات، وفي العمليات الجراحية أو ما يعبر عنه بتدخل العامل البشري، يكون الفرد نفسه راغبا بتغيير وجهه، مثل الأفراد الذين يقومون بخطف الفنانين أو الأفراد الآخرين الذين يريدون تغيير وجه شخص آخر، ومثل القرار الذي اتخذه راشد بالنسبة لسكرتيرته. وفي المستوى الثاني، يحصل التغيير في الوجوه نتيجة الضغوط التي يمارسها رؤساء القلعة من خلال ممارسة العنف والتعذيب في تغيير هويات الاشخاص. ومجمل هذه التطورات، تؤدي إلى أزمة في أسس التعرف على هوياتهم وتؤدي في نهاية الأمر إلى انهيار ذلك المجتمع برمته.

أ.مصاديق تغيير الوجه عبر العمليات الجراحية

في الواقع يعمد راشد في البداية فقط إلى تلبية حاجة شخصية وذلك لدى رؤية سكرتيرته فيتخذ قرارا بإجراء عملية جراحية لجعلها تشبه زوجته.

«لقد نزلت به زلزلة وصعقة كهربائية اقتلعته من مكانه، عندما رأى نفسه وجها لوجه سكرتيرته التي أطلق عليها اسم مرام شقيقة زوجته سلام ... كان طول سكرتيرته بطول زوجته سلام وبشرتها بلون بشرة زوجته أيضا، لكن ملامح وجهها كانت مختلفة ... المشكلة الوحيدة التي كانت تؤرق راشد، هي أنها لم تكن تشبه تماما زوجته سلام ولا تشبه حتى مرام شقيقة زوجته التي لم يكن قادرا على الزواج منها بسبب القانون. إنه كان يعتبر كلاهما قمة في تجليات الجمال الذي كان قد رآه حتى ذلك الحين لذلك أوكل لعقله مهمة إيجاد حل يرتضيه لنفسه» (نصرالله، ٢٠١٦: ٤٩).

وقد وجد راشد في النهاية سبيل الحل المدهش الذي يمزج العالم الخيال بعالم سحري عجائبي، وعلى ذلك يأخذ سكرتيرته إلى طبيب ليجري لها عملية جراحية فيقدم له الطبيب توضيحا حول تقنية عملية التجميل لجعلها تشبه زوجته سلام.

«يمكننا إيجاد الانسجام بين كل أجزاء الجسد ... دون أن نكون مضطرين لزرق أية مادة له. العمل الذي نقوم به نحن، يتمثل في تفعيل عملية تكثير بعض الخلايا أو تغيير أو إزالة بعض الزوائد وهذا العمل ننجزه بمنتهى البساطة» (المصدر نفسه: ١٠٤).

والشيء الجدير بالانتباه هو انقياد السكرتيرة لإجراء هذه العملية، فهي يبدو عليها الانشراح والسرور عندما تواجه صورتها في المرآة وكأنها فرحة جدا لهذا التغيير الذي طرأ على هويتِها الفردية وينتزعها عما هي.

«لقد توجهت باضطراب مذعورة صوب المرآة ... وأخذ راشد يرمقها مسرورا ليطمئن للمرة الألف أن جسدها أصبح شبيها بجسد سلام تماما.. السكرتيرة تقدمت أكثر من ذلك.. لدرجة ظنت أن الشيء الذي تراه حقيقي والشيء الموجود مقابلها ليس سوى نسخة موضوعة في إطار لوحة رأتها سابقا!» (المصدر نفسه ١٠٥).

وبهذا يجعل الروائي القارئ الضمني لنصه أن يصدق بدوره ما حدث للسكرتيرة من خلال عرض هذه الظاهرة الغريبة بشكل عادي كي يؤدي إلى مفاجئات أكثر خلال الرواية. إذ يرغب راشد أن يطمئن على المبادرة التي قام بها، بأن يرتب أمرا لشقيق سلام، لرؤية سكرتيرته ويكون مسرورا للغاية عندما يجد أن العملية التي أجريت لها لتشبه زوجته دقيقة لدرجة أنه حتى أقرب شخص لزوجته سلام لم يلاحظ هذا الاختلاف.

«وعندما خرج، اقترب راشد من سكرتيرته وانحنى أمامها قائلا والفرحة الغامرة تبدو عليه، هل رأيتِ؟ انه لم يعرفك» (المصدر نفسه: ١٣٥).

ومن الواضح أنّ إحداث هذا التغيير في طبيعة الاشياء لن يبقى محدودا في هذا المستوى بل هنالك عوامل أخرى مثل الفيروسات، تدخل أيضا في عمليات التجميل هذه.

ب. مصاديق تغيير الوجوه عبر تطوير الفيروسات

وهنا نجد راشد يغفل عن هذا الموضوع رغم ما يتحلى به من ذكاء من أن عمليات التجميل عبر تطوير الفيروسات قد بدأت بالفعل وإنه يشاهد للمرة الأولى شخصا يشبهه في مصعد البناية التي يعيش فيها، نزل من الدور الذي لا وجود له أبدا!

«رفع راشد رأسه إلى الأعلى. كان المصعد ما زال ينزل. وتوقف أخيرا. وفُتح بابه فوجد نفسه مجددا وجها لوجه جاره الراصد الجوي. كم كان يشبهه!» (المصدر نفسه: ٩١)

وكان رد فعله هو أنه أخذ يبحث عن سلاح حتى يفتك به. وشيئا فشيئا، أصبح الأشخاص الذين يعيشون في القلعة يلاحظون وجود أشخاص يشبه بعضهم بعضا، ونلاحظ هذا الأمر خلال الحوار الذي جرى بين سلام وشقيقها، كشاهد على هذا الحدث:

«قال صديق لي إنه رأى شخصا يشبهني، لكني ضحكت كثيرا وقلت له بما أنك تكن لي مودة كبيرة لذلك أصابك الوهم فأصبحت تراني في كل مكان. ولعلي أصبحت أشكل لك كابوسا.. لكن لو تسألني، سوف أخبرك أنني لست واثقا جدا، لأنني سمعت بوجود موارد تشابه كثيرة بين الناس» (المصدر نفسه: ١١٨).

إنّ حمى التشبه المَرَضية هذه، تذكر قارئ الرواية بمسرحية الكركدن لأوجين يونسكو، لكن يوجد هنالك اختلاف أساسي بينهما. وهو أن التشبه بين الناس في الكركدن يحدث في اتجاه واحد أولا وإنه ليس إراديا؛ ثانيا، إن طبيعة باطن الناس تتكشف في الظاهر تدريجيا. لكن في هذه الرواية، يظهر موزائيكا من الناس في سطح جزئي فيؤدي إلى تبدد كيان الشخص وكيان أسرته قبل أن تعم آثاره تدريجيا وتقضي على بناء القلعة ونظامه بصورة تامة.

ومع مرور الوقت، تطرأ حوادث عجيبة على سكان القلعة، فتتصل صديقة سلام في أحد الأيام بها عبر الهاتف وتقول لها: «كيف يمكنك أن لا تتذكري أمي لهذا الحد؟ لقد كانت هي مثل أُمك. كنتُ أنا في الكثير من الأحيان واثقة أنها تحبك أكثر مني» (المصدر نفسه: ١٦١).

سلام التي لم تكن قد انتبهت حتى الآن للأحداث الجارية حولها تحاول تبرير سلوكها متذرعة ببعض الذرائع من أمثال فقدان الذاكرة بصورة مؤقتة. لكن التراجيديا تأخذ أبعادا جديدة وتنتشر ظاهرة التشابه إلى الفواكه والحيوانات (المصدر نفسه: ١٦٨-١٦٧).

وللمرة الثانية يشاهد راشد فردا يشبهه ولا يعلم أن ذلك الفرد قد جرى إعداده بمساعدة زوجته التي عملت له ماكياج خاص، ليكون شبيها لراشد» (المصدر نفسه: ٢٠٦). فانتبه راشد لتدهور الأوضاع حتى أصبح خائفا لذلك وأخذت تصدر عنه ردود أفعال غريبة، إنه أخذ يوكل إلى إحساسه أمر التعرف على الاصل من الفرع:

«- سلام انتبهي جيدا ، لاتفتحي الباب أبدا لأي شخص يشبهني!

- كيف لي أن أعلم إذن هو أنت نفسك ؟

- سوف تستفيدين من إحساسك»(المصدر نفسه: ٢٠٦)

لكن هذا الاحساس سوف يكون مؤثرا في زمان محدد وبعد ذلك، نجد أن الراصد الجوي ينزل مرارا من الدور غير المرئي ويدخل الى حياته الخاصة ويُنزل نفس البلاء الذي كان راشد أنزله في حياة الآخرين.

«كان راشد يخشى بشدة حتى من تبديل أولاده عندما يعودون من المدرسة، مع غيرهم من الأولاد أو أن يصبحوا أصدقاء لمئات الأطفال الذين يشبهونهم» (المصدر نفسه: ٢٢٠)

هذه التراجيديا تصل إلى درجة لم يعد الناس يثقون بهوياتهم فنجد أن كل فرد منهم يسأل نفسه: (هل هذا هو أم أنا؟)

فالأمور تخرج من مجاريها وفي هذه الأثناء نجد أيضا ردود فعل من بعض سكان القلعة تؤدي إلى اضطراب الأوضاع فيها بشدة:

«بعض الناس لم يكونوا راضين عن مظهرهم، فبادروا إلى اغتنام اضطراب الأوضاع ليخطفوا بعض الناس الذين كانوا يودون التشبه بهم .... فكانت النتائج أحيانا تراجيدية لأن الخاطفين كانوا يرون أنهم بدل أن يشبهوا المخطوفين، أصبح المخطوفون يشبهونهم» (المصدر نفسه: ٢٢٥)

والنتيجة المنطقية لتلك الظروف تصبح هكذا: «بدلا من أن يشاهدوا أنفسهم في المرايا نجدهم يرون أنفسهم خارج المرايا» (المصدر نفسه: ٢٢٦).

وفي هذه الاوضاع المتدهورة، تطلق الإشاعات أيضا على مستويين وتدور هذه الإشاعات حول محور تغيير الهوية في كلا المستويين.

«نجد الكثير من العوائل وضعت أنفسها الأسبوع الماضي في محاصرة المرايا وحتى أثناء نومها، كانت ترقد بصورة تبقي وجوهها في مواجهة المرايا» (المصدر نفسه: ٢٢٠).

وبلغ الأمر درجة أن تغيرت كل المقدرات بل تحول الأمر إلى كابوس للشخص الاصلي الذي خطط للقضية:

«للمرة الأولى يتمنى راشد أن يكون كل الذي شاهده بنفسه، ليس سوى كابوس. غير أنه لم يكن الأمر كابوسا، ولم يكن راشد نائما بالمرة، والحرب التي اندلعت، لم تكن حلما عابرا» (المصدر نفسه: ٣٠٨).

النتائج:

وكما مر سابقا، فالقضية الأصلية لرواية حرب الكلب الثانية تتمثل في أزمة الهوية. وقد استفاد مؤلفها من المجاز طبعا باعتباره جزءا من الكل، واعتبر أن الوجه الظاهر للناس يبدو ممثلا لكل شخص منهم لذلك نجده يضع خطته في هذا المستوى من العمل. لكن الواضح تماما، أن تسلسل المجتمعات المعاصرة كلها أصبحت تتجلى اليوم في الماركات والموديلات والايماءات بل حتى الأفكار التي استنسخها، لم تعد سبيلا يوفر التقدم للإنسان نحو الكمال، بل حولته إلى كائن متضجر ومشوش الأفكار لدرجة أنه يغلق سبل السلام كافة على نفسه وعلى الآخرين ولا يبقى أي سبيل غير الحرب والعنف.

حتى اسم الرواية الذي فيه نوع من الدعابة يدعم هذه المزاعم. فخروج حيوان مثل الكلب عن طبيعته الذاتية المتمثلة بالوفاء لصاحبه، إلى مهاجمة صاحبه، سوف يشعل حربا لاهوادة فيها وتزهق أرواح العشرات من الناس فيها.

وفي الواقع فإنه يجري تغيير الهوية الفردية للأشخاص الذين تمت الاشارة إليهم في هذه الرواية عبر طرق مختلفة، ونتيجة هذه التغييرات أيضا تكون في نهاية الأمر حربا دامية تأتي على الأخضر واليابس يطلق عليه اسم حرب الكلب الثانية.

في بداية الرواية، يشير مؤلفها الى هذه المسألة وهي أن تاريخ البشرية تعرض لحمى التشبه ويبدو أن تاريخ البشرية تحول إلى مسرح لحرب عمليات التجميل ومع انتهاء كل حرب تندلع بعد فترة حرب أخرى تدور رحاها حول محور الهويات وتغييراتها. وكما لاحظنا رواية حرب الكلب الأولى فاننا نشهد حرب الكلب الثانية وحرب الكلب الثالثة. وأما بُناة القلعة، فإنهم قاموا بصنع قلعة شبيهة لا يتمكن عامة الناس من التشبه بالذين بنوا القلعة والحال أن تلك الذرائع تتسبب في نهاية الرواية بموت الكثير من الافراد من سكان القلعة.

وما عدا عموم الرواية، فإن عناصرها أيضا تُكمِل فضاءات هذه المساحة المبنية. وبالرغم من وجود عدد كبير من الشخصيات الأصلية والفرعية في الرواية فإن الأسماء محددة في راشد وسلام وشقيقتها فقط وأما بقية الشخصيات فإنها لا تعدو سوى أنماط يمكنها أن تمثل أعداد لا حصر لها من الناس يمارسون أدوارا اجتماعية مختلفة من قبيل: الضابط والسكرتيرة والراصد الجوي والطبيب والشرطي والمدير العام السابق للقلعة وحضرة القائد. وصناعة تلك الأنماط تساعد المؤلف في إتمام مشروعه الفكري ليصل في نهاية المطاف إلى النسخ الاصلية والمزيفة التي لاحصر لها والتي لم تعد حتى مكانتها الاجتماعية مجدية في منحها الهوية أو جعلها تتميز عن غيرها.

إن عنصري القوة والشهوة، يشكلان الأسس الأصلية لإيجاد هذا العالم غير المتزن والذي يتحول تدريجيا إلى مايشبه غودزيلا الأسطوري الذي تتحطم كل الفضائل الأخلاقية تحت قدميه الثقيلتين.

قضية تغييرالهوية الفردية أشبه ما تكون في باديء الأمر، بالكوميديا ووسيلة التَهرب من الإجابة على مطالب الافراد الباهظة التي مع مضي الزمان واتضاح الأبعاد المظلمة لهذه القضية، تجعل الأفراد أنفسهم يشككون بهويتهم وتتحول هذه القضية إلى تراجيديا ومأساة تنتهي بالحروب، ويبدو أنه يوجد هناك ارتباط مباشر بين تغييرالهوية وبين العنف، والوظيفة الخفية لتغيير الهوية تتجسد في العنف.

مضمون رواية حرب الكلب الثانية لاجرم أنها تدفعنا لهذه الفكرة وهي أنها تمثل نتاجا للمخططات الدولية الكبرى التي بدأت بعنوان القرية العالمية وشعار العولمة[1] ومع أنها كانت تبدو في الوهلة الأولى نهجا ديمقراطيا يهدف إلى إزالة الفوارق الثقافية من أجل التقريب بين شعوب العالم، لكن المعالجة التي مارستها كانت خاطئة وقد أدت عمليات الاستنساخ غير المناسبة والخاطئة إلى إزالة الفوارق التي تميز الشعوب عن بعضها؛ ذلك التميز الذي يمثل الدافع الأصلي لجهود الناس للتعرف على بعضهم البعض . وقد توصلت البشرية إلى إدراك هذه الحقيقة الواضحة وهي أن الفوارق ذات المغزى للناس تقربهم من بعضهم البعض.

---

[1]. **Globalization**

المصادر والمراجع

- آن باورز، ميجى (١٣٩٢) ، الواقعية السحرية؛ ترجمة: سحر رضا سلطانى، تهران، دار نشر روزنه.
- أبو أحمد، حامد (٢٠٠٢)، في الواقعية السحرية، القاهرة، دار سندباد.
- أبوهيف، عبدالله (٢٠٠٩) ، "المنهج الاجتماعي في النقد الأدبي العربي الحديث، الرواية الجزائرية أنموذجاً"، اللاذقية، مجلة جامعة تشرين، المجلد (٣١) العدد (٣) ، صص ٩-٢٦.
- أحمدى، بابك (١٣٧٧) معماى مدرنيته، تهران، نشر مركز.
- بوينده، محمد جعفر (١٣٩٠) ؛ مدخل الى علم الاجتماع الادبي، تهران، نشر نقش جهان مهر.
- توسلي، غلامعباس و قاسمى، يارمحمد (١٣٨٣) ، «الهوية الجماعية والعولمة»، رسالة العلوم الاجتماعية، العدد٤، صص ١-٢٦.
- جنكيز، ريتشارد (١٣٨١) ، الهوية الاجتماعية؛ ترجمة تورج يار احمدى: تهران، نشر شيرازه.
- جوادى يكانه، محمدرضا وعزيزى، جليل (١٣٨٧) ، «الهوية الثقافية والاجتماعية للشباب في مدينة شيراز حسب وسائل الاعلام »، مجلة البحوث الثقافية الايرانية، العدد٣، صص ١٨٣-٢١٤.
- جى دان، رابرت (١٣٨٤) ، النقد الاجتماعي لما بعد الحداثة وازمات الهوية، ترجمه صالح نجفي: تهران، نشر برديس دانش.
- ريتزر، جورج (١٣٧٧) ، علم الاجتماع المعاصر، ترجمه محسن ثلاثى: تهران، نشر علمي.
- ريكور، بُل ؛ «الايديولوجيا وال اوتوبيا»، ترجمه احمد بستاني، نشر نامه مفيد، العدد ٣٢، ١٣٨١.
- عبدالرحيم، محمد (٢٠١٩) «الواقعية السحرية» روح القرن العشرين: تأصيل المفهوم وتجلياته، https://www.alquds.co.uk.
- عبدالهى، محمد (١٣٧٥) ، «الهوية الجماعية وآلية تطورها في ايران»، مجلة الجمعية الإيرانية لعلوم الاجتماعية، العدد ١، صص ٦٣-٦٥.
- غيدنز، آنتونى (١٣٨٦) تبعات الحداثة ، ترجمة محسن ثلاثى، تهران: نشر مركز.
- قشوح، مصطفى (٢٠١٥) الهوية والاختلاف عند مارتن هيدغر، https://www.anfasse.org.

- نصرالله، إبراهيم (٢٠١٦) ، حرب الكلب الثانية ، بيروت، الدارالعربية للعلوم ناشرون.

References

- Abdollahi, Mohammad (1375), The collective identity and the mechanism of its development in Iran, Journal of Iranian Society for Social Sciences,1,63-65
- Abu Ahmed, Hamed (2002), In Magic Realism, Cairo, Sinbad House.
- Abu Haif, Abdullah (2009), "The Social Curriculum in Modern Arab Literary Criticism, the Algerian Novel as a Model", Lattakia, Tishreen University Journal, Volume (31), Issue (3), pp.
- 9-26.
- Ahmady, Babak (1377), Ma'ami Madineteh, Tehran, Center published.
- Ann Bowers, Meiji (1392), Magical Realism; Translated by: Sahar Reza Soltan, Tehran, Rozenah Publishing House.
- Genghis, Richard (1381), Social Identity; Translation of Torj Yar Ahmady: Tehran, published by Shiraz.
- Giddens, Antony (1386), The Consequences of Modernity, translated by Mohsen Thali, Tehran: Publishing Markaz.
- Javadi Yegane, Mohammad Reza & Azizi, Jalil(1387), "Cultural and social identity of youth in the city of Shiraz, according to the media", Journal of Iranian cultural research, 3, 183-214
- Jay Dan, Robert (1384), Social Criticism of Postmodernism and the Crises of Identity, translated by Salih Najafi: Tehran, published by Bardis Danesh.
- Kashouh, Mustafa (2015) Identity and Difference in Martin Heidegger, https://www.anfasse.org.
- Nasrallah, Ibrahim (2016), The Second Dog War, Beirut, Arab Science Publishers.
- Poyandeh, Muhammad Ja`far (1390); Introduction to Literary Sociology, Tehran, the publication of the inscription of Jahan Mehr.
- Ritzer, George (1377), Contemporary Sociology, translated by Mohsen Trihali: Tehran, Scientific Publication.
- Ricoeur Bull; Ideology and Utopia, translated by Ahmad Boustany, published by Nameh Mufid, Issue 32, 1381.
- Tavasoli, Gholam Abas, ghasemi, yarmohammad (1383), Collective identity and globalization, Journal of Social Sciences Thesis, 4, 1-26.

مطالعات روایت شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

رمان حرب الکلب الثانیه (جنگ دوم سگ)؛ جلوه‌های هویت فردی در رئالیسم جادویی

شکوه السادات حسینی رایانامه: sh.hosseini@ihcs.ac.ir
استادیار پژوهشکده مطالعات اجتماعی، پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی، تهران (نویسنده مسئول)
زهرا محمودآبادی رایانامه: zmahmodabadi@gmail.com
دانشجوی دکتری رشته جامعه شناسی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد تهران مرکز

چکیده

ورود سیل آسای تکنولوژی به زندگی بشر در دوران مدرن و اخیرا ظهور پدیده‌های پست‌مدرن باعث شده است که پرسش از هویت یکی از چالش برانگیزترین مسائل اجتماعی نیمهٔ دوم قرن بیستم به‌شمار آید. ابراهیم نصرالله، نویسندهٔ شهیر فلسطینی، در رمانی با عنوان: حرب الکلب الثانیه (جنگ دوم سگ) از رهگذر ادبیات و از منظری نو به این موضوع پرداخته است. وی با استفاده از عنصر خیال و در بستر رئالیسم جادویی، آیندهٔ بشریت را در سایهٔ میل روزافزون به شبیه‌سازی ترسیم کرده است. پدیده‌ای که در نمودهای متنوع و گستردهٔ خود باعث از بین بردن هویت‌های فردی می‌شود. این رمان هشداری برای وجود این مفهوم استعاری است که گسترش و استمرار آن در وجوه واقعی زندگی می‌تواند با به‌وجود آوردن جنگ‌ها و کشمکش‌هایی از نوع جدید، خشونتی خانمان برانداز را به جوامع بشری تحمیل کند. این نوشتار با تکیه بر رئالیسم جادویی و با روش توصیفی تحلیلی، بحران هویت فردی را در روند گذار از اقدامی صرفا فردی به فاجعهٔ جبران‌ناپذیر انسانی مورد بررسی قرار داده است.

واژگان کلیدی: هویت فردی، رمان عربی، رئالیسم جادویی، ابراهیم نصرالله، رمان حرب الکلب الثانیه(جنگ دوم سگ).

استناد: حسینی، شکوه السادات؛ محمودآبادی، زهرا. پاییز و زمستان (۱۳۹۹). جنگ دوم سگ؛ بروز هویت فردی در رئالیسم جادویی (به زبان عربی). مطالعات روایت شناسی عربی،۲(۳)، ۱۵۰-۱۲۷.

مطالعات روایت شناسی عربی، پاییز و زمستان ۱۳۹۹، دوره ۲، شماره۳، صص. ۱۵۰-۱۲۷.
دریافت۱۳۹۹/۷/۲۱ پذیرش: ۱۳۹۹/۱۲/۱۴

© دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان و ادبیات عرب